

المسائل العقدية المتعلقة بالقلم

Nodal issues related to the pen

يحيى غُشِّي

جامعة غرداية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. مخبر الدراسات الشرعية

ghochi.yahia@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/19 تاريخ القبول: 2023/06/03 تاريخ النشر: 2023/06/07

ملخص:

اشتملت هذه الدراسة على موضوع مهم من مواضيع العقيدة، وهو القلم الذي أمره الله عز وجل أن يكتب كل شيء، كما جاءت بذلك النصوص الشرعية، وهو من أمور الغيب التي يجب على المسلم الإيمان بها.

فتطرق في بداية المقال كالمهده له، بتوضيح المراد بالإيمان بالغيب، وبيان منزلته من العقيدة الإسلامية، وبعدها تحدثت عن أهم المسائل العقدية المتعلقة بالقلم؛ من توضيح المراد بالقلم، وبيان حقيقته، ثم إظهار أيهما أول المخلوقات القلم أم العرش؟، ثم بيان شيء من صفات القلم الواردة في النصوص الشرعية.

وفي الأخير أختتم المقال بخاتمة أجملت فيها نتائج البحث، والتي من أهمها: أن القلم حق، وأنه من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، وبما ثبت من صفاته، لا تتجاوز في ذلك النصوص الشرعية. كلمات دالة: القلم، المسائل، العقيدة، المتعلقة، الغيب.

Abstract:

This study included an important topic of belief, which is the pen with which God Almighty writes the decrees of creatures, as stated in the legal texts, and it is one of the matters of the unseen that a Muslim must believe in.

So I addressed at the beginning of the article as a precursor to it, clarifying what is meant by faith in the unseen, and clarifying its status in the Islamic faith, and then I talked about the most important doctrinal issues related to the pen; From clarifying what is meant by the pen, and explaining its reality, then showing which of

the creatures is the first, the pen or the throne?, then clarifying some of the attributes of the pen mentioned in the legal texts.

Finally, I ended the article with a conclusion in which I summarized the results of the research, the most important of which are: that the pen is true, and that it is one of the matters of the unseen that must be believed in, and with its proven qualities, we do not go beyond the legal texts.

Key words : pen, issues, creedal, related, unseen.

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:
فإن الإيمان بالغيب هو أصل الإيمان، وأعلى صفات أهله، ولهذا كان أول صفة وصف الله بها المتقين في كتابه الكريم؛ حيث قال: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٣].
والواجب علينا، أن نؤمن بكل ما أخبرنا الله ﷻ به، وما أخبرنا به رسوله ﷺ من أمور الغيب، ومن ذلك:

الإيمان بالقلم، وهو الذي أمره الله ﷻ أن يكتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ. (ص 12)
لم يخلقه الله ﷻ إلا للحكمة؛ لأنه سبحانه وتعالى الحكيم، والحكمة صفة من صفاته.
ومن الحكم من وجود القلم وخلق الله والإيمان به: الدلالة على عظمة الله ﷻ، وتما علمه، والدلالة على هيمنته وحفظه، وقدرته، وكمال تدبيره.
وما في مخلوقات الله ﷻ من الحكم والغايات المطلوبة أعظم من أن يحيط بها أحد من العباد، وما يخفى على العباد معرفة الحكمة من وجوده وخلق الله فهو من علم الغيب الذي استأثر الله به، فيكفي العباد في ذلك الإسناد إلى الحكمة البالغة العامة الشاملة. (ابن القيم، 1425، 1/296).
والإيمان بالقلم هو مما يتضمنه الإيمان بالكتابة، التي هي المرتبة الثانية من مراتب القدر، فالله ﷻ أمر القلم أن يكتب كل شيء، فلا يخرج شيء عما كتبه، وهذا مما أجمع عليه أهل العلم.
فالإيمان بالقلم الذي خلقه الله، وكتب به المقادير حق، يجب الإيمان به، وبما ثبت من صفاته، لا نتجاوز في ذلك النصوص الشرعية.

والقلم في أكثر النصوص الشرعية يراد به: القلم الذي كتب به في اللوح المحفوظ، وكتبت به المقادير.

ومما تقدم أنفاً تظهر أهمية الكتابة في هذا الموضوع المهم: المسائل العقيدية المتعلقة بالقلم، فهو من الغيب الذي أمرنا بالإيمان به، وزيادة العلم به زيادة في الإيمان عموماً.

أهداف البحث:

لاشك أن التطرق بالبحث لمثل هذا الموضوع المهم من مسائل العقيدة، يقصد منه تحقيق أهداف، أذكر منها الآتي:

1. بيان منزلة الإيمان بالغيب من العقيدة الإسلامية.
 2. بيان حقيقة الإيمان بالقلم، وزيادة العلم به زيادة في الإيمان عموماً.
 3. جمع شتات ما يتعلق بالقلم من مسائل عقيدية، وحسن ترتيبها وعرضها.
- وقد انتظمت خطة هذا البحث في مقدمة، ومبحثين على النحو الآتي:
- المقدمة:** واشتملت على الافتتاحية، وأهداف البحث، وخبطه، والإجراءات المتبعة في البحث.

المبحث الأول: الإيمان بالغيب ومنزلته من العقيدة، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الغيب.

المطلب الثاني: منزلة الإيمان بالغيب من العقيدة.

المبحث الثاني: المسائل العقيدية المتعلقة بالقلم، واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالقلم وبيان حقيقته.

المطلب الثاني: أيهما أول المخلوقات القلم أم العرش؟

المطلب الثالث: بيان المراد من صفات القلم الواردة في النصوص الشرعية.

الإجراءات المتبعة في إعداد البحث:

- الرجوع لمطان المادة العلمية الخاصة من خلال الاطلاع على ما المتعلقة بموضوع البحث؛ من كتب العقائد، وكتب التفاسير وشروح الأحاديث وغير ذلك.
- عزو الآيات إلى سورها، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.

- توثيق المعلومات التي أذكرها بالنقل، أو الاقتباس من كلام العلماء.

المبحث الأول: الإيمان بالغيب ومنزلته من العقيدة.

سأطرق بإذن الله تعالى في هذا المبحث التمهيدي؛ لبيان منزلة الإيمان بالغيب من العقيدة الإسلامية، بعد البداءة بالتعريف بالغيب، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الغيب.

لبيان المراد بالغيب، يستحسن التعريف به، وإيضاح مدلوله في اللغة والاصطلاح كالآتي:

1. تعريف الغيب في اللغة.

الغيب من: " غاب عنه غيبةً وغيباً وغياباً وغيوباً ومغيباً. يقال: غابت الشمس تغيب غيبةً وغيوباً ومغيباً". (ابن منظور، 1424، 105/11).

والغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون. (ابن فارس، 1420، 403/4).

والغيب كل ما غاب عن العيون. (ابن منظور، 1424، 105/11).

فالغنى المراد من الغيب يدور حول تستر الشيء عن العيون، مما غاب عن الإنسان، وخفي أمره عليه.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]. أي يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر البعث والجنة والنار. (الطبري، 1421، 238/1).

2. تعريف الغيب اصطلاحاً.

للعلماء عدة تعريفات للغيب، فمن ذلك ما يلي:

- كل ما غاب عنك من شيء. (الطبري، 1421، 133/1).

- هو كل ما غاب عن العيون سواء كان محصلاً في القلوب أم غير محصل. (ابن الأثير، 1423، ص 684).

- ما غاب عن مشاهدة الخلق، وهو ما أخبرت به الأنبياء من الغيب فيدخل فيه الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله. (ابن تيمية، 1416، 284/2).

وهذه التعريفات في حقيقتها متقاربة في المعنى، موافقة للمعنى اللغوي للغيب الذي يدور حول تستر الشيء عن العيون.

المطلب الثاني: منزلة الإيمان بالغيب من العقيدة.

للإيمان بالغيب منزلة عظيمة وكبيرة في العقيدة الإسلامية، نجمل توضيحها في النقاط الآتية:

1. أن الله ﷻ كتب الفلاح لمن اتصف بالإيمان بالغيب.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٣].

والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المهووب، حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم وما عدا تلك السبيل فهي سبيل الشقاء والهلاك والخسار، التي تفضي بسالكها إلى الهلاك". (السعدي، 1408، 34/1).

2. أن الإيمان بالغيب هو الذي يميز المؤمن من الكافر.

فالإيمان بالغيب مما يفرق به بين المسلم والكافر، ولو كانت مسائل الغيب كلها من الأمور المشاهدة لآمن الناس كلهم ولما عصى الله ﷻ أحد. وذكر (ابن القيم، 1423، ص 89)، مبيناً هذا المعنى أن الله - سبحانه - جعل أمر الآخرة، وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، ولتتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

3. أن الإيمان بالغيب هو أصل الإيمان، وأعلى صفات أهله:

ولهذا كان أول صفة وصف الله بها المتقين، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٣]، "وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾، والغيب الذي يؤمن به، ما أخبر به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته والجنة والنار، فالإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب، فإن وصف الرسالة هو من الغيب، وتفصيل ذلك هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر". (ابن تيمية، 1423، 13/232).

4. أن أركان الإيمان الستة كلها داخلية في الإيمان بالغيب.

فالإيمان بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره كل هذه الأركان داخلة في الإيمان بالغيب، ولا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان بها جميعاً.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالقلم.

في الحقيقة أن هذا المبحث هو المقصد والأساس من هذا البحث، وذلك بجمع أشهر وأهم المسائل العقدية والتي تتعلق بالقلم، وقد ذكرها العلماء وتكلموا عنها في كتبهم، ومن خلال تتبع تلك المسائل العقدية من مظانها، وجدتها تتفرع على النحو الآتي:

المطلب الأول: المراد بالقلم وبيان حقيقته.

سنأتي في هذا المطلب على بيان المراد بالقلم الذي أمره الله أن يكتب مقادير الخلائق، وبيان حقيقته، وفقاً لما جاء في النصوص الشرعية، وسيكون الكلام عن هذا الأمر، كما يلي:

1. المراد بالقلم.

لمعرفة المراد بالقلم لابد من بيان المدلول اللغوي والشرعي له وفق الآتي:

أ- تعريف القلم في اللغة.

"القاف واللام والميم أصل صحيح يدل على تسوية شيء عند بريه وإصلاحه". (ابن فارس، 1420، 15/5).

ويطلق القلم في اللغة على عدة معاني منها :

- القلم: الذي يكتب به، وجمعه: أقلام وقلام، وسمي بذلك لأنه يقلم منه كما يقلم من الظفر. وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء فقد قلمته. (ابن منظور، 1424، 12/182).
- السهم الذي يجال بين القوم في القمار. وجمعها أقلام. قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]. وسمي السهم قلماً؛ لأنه يقلم، أي: يبرى.

وقيل: إن معنى الأقلام في الآية: أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة.

وقيل: إن الأقلام هنا: القداح، وهي قداح جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة. (ابن كثير، 1409، 2/42)

قال ابن فارس: "شبه القدح به فقل: قلم، ويمكن أن يكون القدح سمي قلماً لما ذكرناه من تسويته وبريه". (ابن فارس، 1420، 5/16).

فالحاصل مما ذكر: أن القلم في اللغة هو: ما يكتب به.

ب- تعريف "القلم" في الشرع.

وليبيان تعريف القلم في الشرع ننظر معنى لفظة "القلم" في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية.

- لفظ "القلم" في القرآن الكريم:

ورد لفظ "القلم" في القرآن أربع مرات، مرتان بصيغة المفرد، ومرتان بصيغة الجمع.

فالآيتان اللتان بصيغة المفرد هما:

- قوله تعالى: ﴿لَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

اختلف أهل العلم في المراد بـ "القلم" في هذه الآية على أقوال:

الأول: أنه الذي كُتِبَ به اللوح المحفوظ. وهو قول مجاهد، واختاره ابن جرير. حيث قال: "وأما القلم: فهو القلم المعروف، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقاليم: القلم الذي خلقه الله، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة". (الطبري، 1423، 29/23).

الثاني: أنه جنس القلم الذي يكتب به. وهذا قول القرطبي؛ حيث قال: "أقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان، وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من في السماء ومن في الأرض". (القرطبي، 1413، 18/146).

الثالث: أنه قلم الملائكة الكرام الكاتبين. (الألوسي، 1405، 23/29).

الرابع: أنه القلم الذي يكتب به الناس. (ابن الجوزي، 1422، 8/93). والذي يظهر أن المراد بالقلم هنا جنس القلم، فالقسم واقع على كل قلم يكتب به في السماء والأرض؛ وذلك لأن (أل) في قوله تعالى: ﴿لَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ للجنس. - وقوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]. والمراد به القلم الذي يكتب به. قال ابن جرير الطبري (1423، 317/30). في معنى الآية: "خلق الله الكتاب والخط".

وقال البغوي: "يعني: الخط والكتابة". (البغوي، 1423، 4/649).

ويراد بالقلم الذي يكتب به هنا الذي بأيدي الناس خصوصاً.

قال القرطبي (1413، 81/20): "يعني الخط والكتابة، أي علم الإنسان الخط بالقلم".

وقال ابن الجوزي (1422، 291/8). أيضاً: "أي: علم الإنسان الكتابة بالقلم".

وقال جمال الدين القاسمي (1418، 508/9) في تفسيرها: "أي: أفهم الناس بواسطة القلم كما أفهمهم بواسطة اللسان".

ذكر عَمَّكَ فيكون المراد بالقلم: القلم الذي بأيدي الناس دون غيره، ويقويه سياق الآيات فإنَّ الله ما منَّ به على الإنسان من نعم عظيمة فذكر أولاً: أنه خلقه من علق، ثم ذكر ثانياً: أنه علَّم بالقلم، ثم ذكر ثالثاً: أنه علمه ما لم يعلم فقال: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]. لهذا قال قتادة عند هذه الآية: "القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقيم دين ولم يصلح عيش". (الطبري، 1423، 317/30).

والآيتان اللتان بصيغة الجمع هما:

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

فقد اختلف المفسرون فيها فقال بعضهم: إنها القداح والسهم.

وهذا ما ذكره (الطبري، 1423، 343/3)، و(البغوي، 1423، 352/1).

وقال آخرون: إنها الأقلام التي يكتبون بها.

"وهو أجود؛ لأنَّ الأزلَام قد نعى الله عنها فقال: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [المائدة: ٣]. إلاَّ أنه يجوز أن يكونوا فعلوا ذلك على غير الجهة التي كانت عليها الجاهلية تفعلها". (القرطبي، 1413، 55/4).

والأقلام في الآية يحتمل أن يكون المراد بها الأقلام التي يكتبون بها، ويحتمل أن يكون المراد بها القداح والسهم. والقلم في اللغة يأتي بمعنى السهم كما سبق بيانه عند تعريف القلم في اللغة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فإنه يفهم من هذه الآية الكريمة أن هناك أقلاماً يكتب بها كلام الله، وهذه الأقلام يتصور نفادها وانقضاؤها، وأما كلام الله فلا يتصور نفاذه، فلو أن أشجار الأرض برت أقلاما يكتب بها وجعل البحر مدادا يستمد بها لتكسرت الأقلام ولفني ذلك المداد ولم تنفذ كلمات الله وعَمَّكَ. (السعدي، 1408، 115/4).

قال ابن عطية عند تفسيره هذه الآية: "والغرض منها الإعلام بكثرة كلمات الله تعالى وهي في نفسها غير متناهية وإنما قرب الأمر إلى أفهام البشر بما يتناهى، لأنه غاية ما يعهده البشر

من الكثرة، وأيضاً فإن الآية تضمنت أن كلمات الله لم تكن لتنفذ وليس تقتضي الآية أنها تنفذ بأكثر من هذه الأقلام والبحور". (ابن عطية، 1411، 23/13).

فالأقلام هنا المراد بها ما يكتب بها كلام الله، وهي بأيدي الملائكة يكتبون ما يوحي الله ﷻ به في سمائه.

فالله جل وعلا كلماته الكونية لا تنفذ، يأمر وينهى ﷻ في ملكوته، والملائكة تكتب، فهذه الأقلام نوع آخر، ولك أن تقول: هذا هو النوع الثاني وهي أقلام الوحي التي بأيدي الملائكة يكتبون ما يوحي الله جل وعلا به في سمائه. مذكرة " (ابن أبي العز، 1426، ص 77).
وبما سبق يتضح أن القلم في القرآن يطلق على معنيين: جنس القلم الذي يكتب به، والقдах والسهام التي يستهم بها.

– لفظ " القلم " في السنة النبوية:

جاء لفظ "القلم" في أحاديث كثيرة بصيغة المفرد وبصيغة الجمع، فالذي جاء بصيغة المفرد يراد به ما يلي:

أ- القلم الأول الذي أمره الله بكتابة المقادير في اللوح المحفوظ، كما جاء في حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة". أخرجه أبو داود (ح/4700)، والترمذي (ح/2155).

ب- قلم المؤاخذه، أو قلم التكليف. وهذا جاء في قول النبي ﷺ: " رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يعقل، وعن الصبي حتى يحتلم". أخرجه أبو داود (ح/4398)، وأخرجه الترمذي (ح/1423)، وأخرجه النسائي (ح/3462) وأخرجه ابن ماجه (ح/2041-2042).

قال ابن خزيمة (1424، 1427/1): " باب ذكر حج الصبيان قبل البلوغ على غير الوجوب، والدليل على أن قول النبي "رفع القلم عن الصبي" أراد القلم مما يكون إثماً ووزراً على البالغ إذا ارتكبه، لا أن القلم مرفوع عن كتبة الحسنات للصبي إذا عملها".

وقال ابن أبي العز (1426، ص 267): " والقلم الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة".

ج- القلم الذي يكتب به الناس، كما جاء في قول النبي ﷺ: "إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم". أخرجه أحمد في "المسند" (66-65/4) (ح/3870). والقلم هنا هو الذي يكتب به، والمراد بظهوره وفشوه: ظهور الكتاب وكثرهم، وانتشار الكتابة

قال ابن عبد البر (1406، 297/17): "أما قوله في الحديث "وفشو القلم" فإنه أراد ظهور الكتاب وكثرة الكتاب".

وأما يتعلق بورود لفظ "القلم" بصيغة الجمع فإنه يراد به ما يلي:

أ- الأقلام التي كتبت بها المقادير. كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: جاء سراقه بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال: "لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير". أخرجه مسلم (ح/6735).

ب- أقلام الملائكة الذين يكتبون بها الوحي، وما شاء الله ﷻ مما أراد من أمره وتدبيره. كما جاء في الحديث: "...حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام". أخرجه البخاري (ح/349)، وأخرجه مسلم (ح/415).

وصريف الأقلام معناه صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووحيه، وما ينتسخونه من اللوح المحفوظ. (ابن الأثير، 1423، ص 514).

ج- الأقلام التي يكتب بها الحفظة أعمال العباد.

كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "إذا خرجت الآيات طرحت الأقلام، وطويت الصحف، وخلصت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال". (ابن حجر، 1407، 355/11).

وبما تقدم يتبين أن القلم في النصوص النبوية، سواء ما جاء منها بصيغة المفرد أو بصيغة الجمع يراد به: الأقلام التي يكتب بها.

فالحاصل: أن لفظ القلم جاء في القرآن في أربعة مواضع، وجاء في السنة النبوية في مواضع كثيرة متعددة، وفي هذه النصوص يطلق " القلم " على معنيين: القلم الذي يكتب به. والقдах والسهام التي يستهم بها.

والقلم الذي كتب به في اللوح عرفه أهل العلم بعدة تعريفات:
 فعرفه مجاهد بأنه: "الذي كتب به الذكر". (القرطبي, 1413, 146/18).
 وعرفه ابن جرير (الطبري, 1423, 22/29) بأنه: "الذي خلقه الله، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة".
 وعرفه ابن القيم (1424, ص 120) بأنه: "قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق".

وهذه التعاريف متفقة في المعنى، وهي موافقة لما جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة".

2. حقيقة القلم.

القلم حق، يجب الإيمان به، وبما ثبت من صفاته لا تتجاوز الكتاب والسنة. وأما كيفية صفته، وحقيقة ذلك فعلمها إلى الله وَعَلَيْكُمْ. وقد أتت أقوال الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من أهل العلم على إثباتهم للقلم وإيمانهم به، ومن ذلك الآتي:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن أول ما خلق الله وَعَلَيْكُمْ القلم قال فأمره فكتب ما هو كائن". أخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" ص (401/2).
 وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: "جف القلم بما هو كائن". أخرجه الترمذي (ح/2640).
 وقال أبو عمرو الداني (1419, ص 61): "ومن قولهم: إن الإيمان واجب باللوحة المحفوظ وبالقلم، على ما أخبر به تعالى".

وقال ابن العربي المالكي (1418, 234/4): "فقد علمنا الكتاب بالقلم، وليس مثل قلمه، ولا مثل كتابه، فأما قلمه، وكتبه، ولوحه، فهو مثل ما عندنا في أنه مخلوق مقدر مصور، ولكنه يفوت قدرنا وتحصيلنا".

وقال القاضي عياض (1416، 159/1): "وكتابة الله، وقلمه، ولوحه من غيب علمه، نؤمن به، ونكل علم ذلك إلى الله تعالى".

وقال النووي (1420، 413/16-414): "وجف القلم الذي كتب به، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان. قال العلماء: وكتاب الله تعالى ولوحه، وقلمه والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمها إلى الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء".

فيتضح من هذه النقولات، أن القلم حق يجب الإيمان به على نحو ما جاء في النصوص الشرعية، وأن الله تعالى أمره أن يكتب كل ما هو كائن.

المطلب الثاني: أيهما أول المخلوقات القلم أم العرش ؟

قد اختلف أهل العلم أيهما أسبق في الخلق القلم أم العرش ؟ على قولين مشهورين: القول الأول: أن القلم خلق أولاً.

وهذا قول ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، وغيرهما. (ابن كثير، 1418، 32/1). واستدلوا على ذلك بحديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: يا رب وماذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة".

القول الثاني: أن العرش خلق أولاً.

وهذا قول جمهور العلماء. (ابن كثير، 1418، 9/1).

واستدلوا على ذلك بحديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء" (أخرجه مسلم، 2044/4).

قالوا: وهذا التقدير هو كتابته المقادير بالقلم، وقد دل هذا الحديث على أن ذلك كان بعد خلق العرش، فثبت تقديم العرش على القلم الذي أمره أن يكتب المقادير. والقول الراجح هو: أن العرش خلق أولاً.

وأجاب الجمهور عن استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت "أول ما خلق الله القلم..." بأحد جوابين:

الأول: أن يكون قول النبي ﷺ: "أول ما خلق الله القلم..." جملة واحدة، فيكون المعنى: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب. بنصب "أول" و"لقلم". وعلى هذا تكون الأولية راجعة إلى كتابته لا إلى خلقه.

الثاني: أن يكون قول النبي ﷺ: "أول ما خلق الله القلم..." جملتين، وهو مروي برفع "أول" و"القلم" فيتعين حملة على أنه أول المخلوقات من هذا العالم. فيتفق هذا الحديث مع حديث عبد الله بن عمرو، إذ إن حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم. (ابن كثير، 1418، 32/1). قال البيهقي (1422، 238/2) على حديث عبادة: "وإنما أراد - والله أعلم - أول شيء خلقه بعد خلق العرش، القلم".

المطلب الثالث: بيان المراد من صفات القلم الواردة في النصوص الشرعية.

قد وصف القلم الذي كتبت به مقادير الخلائق بصفات جاءت بها النصوص الشرعية، فمن ذلك ما يلي:

1. جفاف القلم.

معنى "جفاف القلم".

قال ابن منظور (1424، 163/3): "جفَّ الشيء: يبس، والجفاف: ما جف من الشيء الذي يُجفّفه. وفي الحديث "جفت الأقلام وطويت الصحف"، يريد ما كتب في اللوح المحفوظ من المقادير والكائنات والفراغ منها، تشبيهاً بفراغ الكاتب من كتابته، ويبس قلمه". فالجفاف في اللغة: بمعنى اليبس، وهو معنى مناسب للمعنى الشرعي.

وقد ورد التعبير بـ"جفاف القلم" في الأحاديث النبوية بألفاظ متعددة، وهي جميعها بمعنى واحد.

فمن ذلك ما جاء عن أبي هريرة ؓ قال: قال لي النبي ﷺ: "جف القلم بما أنت لاق". أخرجه البخاري (ح/5076). أي: أن القلم قد جرى بما هو كائن.

وجفاف القلم معناه: أن القلم بقي جافاً لا مداد فيه لفراغ وتام ما كتب به من المقادير.

قال القاضي عياض (1416، 159/1): "وقوله "فيما جفت به الأقلام" أي نفذت به المقادير، وكتبته في اللوح المحفوظ كما تقدم كتابته مما عهدناه وفرغ منه، فيبقى القلم بعد الذي كتب به جافاً لا مداد فيه لتام ما كتب به".

وقال النووي (1420، 414/16): "جفت به الأقلام" أي مضت به المقادير، وسبق علم الله به، وتمت كتابته في اللوح المحفوظ، وجف القلم الذي كتب به، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان".

وقوله: "جف القلم بما أنت لاق": أي نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ، فبقي القلم الذي كتب جافاً لا مداد فيه لفراغ ما كتب به". (ابن حجر، 1407، 22/9).
والتعبير بـ"جفاف القلم" يفيد عدم تغيير حكم ما كتب في اللوح المحفوظ.
وجفاف القلم "عبارة عن عدم تغيير حكمه؛ لأن الكاتب لما أن يجف قلمه عن المداد لا يبقى له كتابة". (الكرماني، 1401، 74/23).

وقال ابن حجر (1407، 500/11): "'جف القلم" أي فرغت الكتابة إشارة إلى أن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه".

ومما يفيد التعبير بجفاف القلم-أيضاً-: الرد على من يقول "بالبدء على الله"، فإن الله علم الأشياء وكتب علمه بما يكون إلى قيام الساعة في اللوح المحفوظ وجف بذلك القلم، وكل ما يكون من محو وإثبات وتغيير فقد علمه الله، وهو مكتوب عنده في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: (يُحِوُ الله مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) [الرعد: ٣٩].

2. صريف القلم.

معنى صريف القلم.

والصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجوع الشيء، ومن الباب الصريف، وهو صوت ناب البعير. وسمي بذلك لأنه يردده ويرجعه". (ابن فارس، 1420، 342/3).
وقال ابن منظور (1424، 230/8): "وفي الحديث (أسمع صريف الأقلام) أي صوت جريائها بما تكتبه من أقضية الله ووحيه".

فالْحاصل: أن صريف القلم بمعنى صوت القلم حال جريانه. وهو معنى مناسب للمعنى الشرعي.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام". أخرجه البخاري (ح/349)، وأخرجه مسلم (ح/415).
ومعنى "صريف القلم": صوت القلم أثناء الكتابة.
(النووي، 1420، 392/2)، والسيوطي، 1419، 3210/7).

وقد تقدم الحديث في سماع النبي ﷺ لصريف الأقلام.

قال ابن الأثير عند شرحه لقوله ﷺ: (أسمع فيه صريف الأقلام): "أي صوت جريانها بما تكتبه من أفضية الله - تعالى - ووحيه، وما ينتسخونه من اللوح المحفوظ". (ابن الأثير، 1423، ص 514).

وقال ابن رجب (1422، 114/2): " (وصريف الأقلام): صوت ما تكتبه الملائكة من أفضية الله تعالى ووحيه ".

وقال القسطلاني (1416، 7/2) عند شرحه لقوله ﷺ (أسمع فيه صريف الأقلام): "أي تصويتها حالة كتابة الملائكة ما يقضيه الله تعالى، أو ما شاء الله أن يكتب لما أراد الله تعالى من أمره وتديره".

ومن خلال كلام أهل العلم السابق يتضح أن المراد بالأقلام التي سمع النبي ﷺ صريفها هي الأقلام التي تكتب بها الملائكة أفضية الله، ووحيه. وليس المراد القلم الأول؛ لأن كتابة القلم في اللوح المحفوظ كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة أي قبل خلق النبي ﷺ، كما قال ﷺ: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء". والله أعلم.

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسرّ وأعان على إنهاء هذا البحث، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- أن الإيمان بالقلم من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها.
- أن القلم حق يجب الإيمان به، وبما ثبت من صفاته لا تتجاوز في ذلك النصوص الشرعية.
- أن القلم خلقه الله وأمره أن يكتب المقادير.
- أن كيفية صفته، وحقيقة ذلك علمها إلى الله ﷻ.
- أن القلم في أكثر النصوص يراد به القلم الذي يكتب به.
- أن جفاف القلم معناه: أن القلم بقي جافاً لا مداد فيه فراغ وتام ما كتب به من المقادير.
- أن التعبير بـ "جفاف القلم" يفيد عدم تغيير ما كتب في اللوح المحفوظ.

المراجع:

- القرآن الكريم، وفق الرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم.
- أبو داود السجستاني، (1421هـ)، السنن، إشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام- الرياض، ط3.
- ابن الأثير، (1423هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي- الدمام، ط2.
- الأزهرى، (1384هـ)، تهذيب اللغة، حققه وقدم له: عبد السلام هارون، راجعه: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة، ط1.
- الألوسي، (1405هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط4.
- بدر الوهبي، اللوح والقلم عند أهل السنة ومخالفهم، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.
- البخاري، (1421هـ)، الجامع الصحيح=صحيح مسلم، إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام- الرياض، ط3.
- البغوي، (1423هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: د. عثمان ضميرية وآخرون، دار طيبة- الرياض، ط1.
- البيهقي، (1422هـ)، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي- جدة، ط2.
- البيهقي، (1425هـ)، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد الحامد، ود. مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد- الرياض، ط2.
- الترمذي، (1421هـ)، الجامع الكبير، إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام- الرياض، ط3.
- ابن تيمية، (1423)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط1.
- ابن تيمية، (1416هـ)، الجواب الصحيح لمن بدا دين المسيح، تحقيق: د. علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة- الرياض، ط2.
- ابن حجر العسقلاني، (1407هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ابن حجر

- العسقلاني، إخراج وتحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كنبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية- القاهرة، ط3.
- ابن الجوزي، (1422هـ)، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2.
- السيوطي، (1419هـ)، التوشيح شرح الجامع الصحيح، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد، - الرياض، ط1.
- ابن حنبل، 1421هـ، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1
- ابن خزيمة، (1424هـ)، صحيح ابن خزيمة، حققه وقدم له: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط3.
- الداني، (1419هـ)، الرسالة الوافية، لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن الجوزي-الدمام.
- ابن رجب، (1422هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي- الدمام، ط2.
- السعدي، (1408هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تقديم: محمد زهري النجار، دار المدني.
- ابن العربي، (1418هـ)، عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1.
- عبد الله بن أحمد، (1406هـ)، السنة، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، ط1.
- ابن عبد البر، (1406هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: محمد أبو خبزة، وسعيد أحمد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب.
- ابن عطية، (1411هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار فضالة- المغرب.
- ابن أبي العز، (1426هـ)، شرح العقيدة الطحاوي، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة-الرياض، ط1.
- عادل العامري، المباحث العقدية المتعلقة باللوح والقلم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية.
- عياض اليعقوبي، (1416هـ)، مشارق الأنوار في اقتضاء صحيح الآثار، دار عفان، - ط1.
- الطبري، (1423هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود شاكر، دار ابن حزم-بيروت، دار الأعلام- عمان، ط1.
- ابن فارس، (1420هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت.
- الفيروزآبادي، (1419هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط6.

- ابن القيم, (1424هـ), التبيان في أقسام القرآن, المكتبة العصرية-بيروت, ط1.
- ابن القيم, (1425هـ), مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة, تحقيق: د. محمد الأسكندراني, أحمد عناية, دار الكتاب العربي- بيروت, ط1.
- ابن القيم, (1423هـ), الروح, دار المعرفة-بيروت, ط1.
- القسطلاني, (1416هـ), إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري, ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدي, دار الكتب العلمية-بيروت, ط1.
- القرطبي, (1413هـ), الجامع لأحكام القرآن, دار الكتب العلمية - بيروت.
- القاسمي, (1418هـ), محاسن التأويل, تحقيق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية- بيروت, ط1.
- ابن كثير, (1418هـ), البداية والنهاية, دار الفكر - بيروت, ط2.
- ابن كثير, (1409هـ), تفسير القرآن العظيم, دار المعرفة-بيروت, ط3.
- الكرماني, (1401هـ), الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري, دار إحياء التراث العربي - بيروت, ط1.
- ابن ماجه القزويني, (1421هـ), جامع السنن, إشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ, دار السلام- الرياض, ط3.
- مسلم, (1421هـ), المسند الصحيح = صحيح مسلم, إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ, دار السلام- الرياض, ط3.
- المناوي, (1422هـ), فيض القدير شرح الجامع الصغير, ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام, دار الكتب العلمية- بيروت.
- ابن منظور, (1424هـ), لسان العرب, دار صادر - بيروت, ط3.
- النسائي, (1421هـ), السنن, إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ, دار السلام- الرياض, ط3.
- النووي, (1420هـ), المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج, دار المعرفة - مصر.